Jurnal Fiqh, Vol. 20 No. 2 (2023) 211-238

**Received:** 2023-05-09 **Accepted:** 2023-11-12 **Published:** 2023-12-30

# التكوين العلمي لابن باديس وأثره التجديدي في مجال التعليم بالجزائر: (1913-1940)

# Educational Background of Ibn Badis and Its Regenerative Impact on the Field of Education in Algeria: (1913-1940)

**Youcef Bensala***
**Abdul Karim Ali****

## ABSTRACT

*The research seeks to discover the renewal brought by Ibn Badis to education in Algeria through the study of his personality, academic background, significant scientific achievements both within and outside Algeria, curriculum for education, and teaching methods that he discovered beneficial and efficient for learners. Furthermore, the research intends to shed light on how Ibn Badis overcame the obstacles and challenges caused by French colonization, which denied Algerian citizens access to all types of learning, especially Arabic and Islamic education. The study takes a historical approach by examining a sizable collection of texts and pictures that represent Ibn Badis's vision for science and education. The*

* Senior Lecturer, Department of Fiqh and Usul, Academy of Islamic Studies, Universiti Malaya, 50603, Kuala Lumpur. youcefbensala.med@gmail.com (corresponding author)

** Professor, Department of Fiqh and Usul, Academy of Islamic Studies, Universiti Malaya, 50603, Kuala Lumpur. abdkarim@um.edu.my

*research leads to the conclusion that Ibn Badis's strong scientific foundation which he achieved under the guidance of specialized academics from numerous fields and countries, had a huge impact on improving his abilities and views of the world and increasing his sense of need to refresh and enhance the educational system of his country. Additionally, he set himself apart from his contemporaries and forebears by getting around France's restrictions through the advantage of legal loopholes to prevent the use of violence, particularly during the planning and construction phases.*

**Keywords:** *Academic formation, educational materials, methods of education, colonization*

**مقدمة**

إن الدارس لتراث الإمام بن باديس والمتأمل في سيرته يجد أن الله قد حباه علم راسخا، فقد جمع علوما شتى قلما تجتمع في عالم واحد، مع شخصية قوية لا تعرف الرجوع عن الحق والمبادئ ولا الاستسلام للظلم والباطل، وقد عده بعض الباحثين الغربيين أنه أقوى شخصية في العالم الإسلامي في الفترة التي ظهر فيها[1]، فهو: عالم عامل وفقيه مجتهد، مساير لمقتضيات العصر وظروف الحياة، معلم موهوب، مجدد في أساليب التعليم، وصاحب مذهب في تفسير كتاب الله، وزعيم من زعماء الفكر الإصلاحي والنضال السياسي، له آراء ومواقف في الدين والأخلاق والسياسة، ثم هو كاتب بارع وخطيب بليغ وشاعر وإن كان مقلا وصحافي ناجح، ومن يتتبع حياته ويدرس جوانب شخصيته يلمس بوضوح هذه الجوانب المختلفة فهو يجمع إلى جانب القدرة على الكتابة البليغة الهادفة والخطابة المؤثرة وقول الشعر الوطني، والإمامة في العلم والدين، والزعامة في النضال

1 Sa'd Allāh, Abū Qāsim, *al-Ḥarakah al-Waṭanīyah al-Jazā'irīyah, Manshūrāt Dār al-Ādāb*, 1969.

السياسي والإصلاح الاجتماعي يزين كل ذلك سعة الاطلاع، وعمق التفكير، ومتانة في الخلق، واستقامة في السلوك وذكاء حاد، ووعي كامل بمشكلات العصر، وإدراك شامل لوضعية شعبه، وما ينبغي أن يكون عليه إذ أخذ بأسباب الحياة [٢]—كان رحمه الله — قائد ركب ومحرر شعب، لقد صحح مفاهيم الحياة الإسلامية التي اهتزت بعنف أمام ضربات الاستعمار المتتالية، في وقت ساد فيه الجهل، وعم فيه الجمود، وانتشرت الخرافة وانحطت كرامة الإنسان العربي، وأهدرت قيمة المسلم، والذي نحن بصدد بحثه في هذه الدراسة هو الجانب التعليمي في حياة الشيخ بن باديس، فقد ظهر الشيخ في مرحلة وجد فيها بلاده تواجه سياسة عدو غاشم يريد سلخ الجزائر من كل مقوماتها، بل ذهب أبعد من ذلك وهو اعتقاده أن الجزائر هي فرنسا كما صرح أحد كبرائهم لافيجيري[٣] بقوله: ( إن عهد الهلال في الجزائر قد غبر،وأن عهد الصليب قد بدأ، وأنه سيستمر إلى الأبد[٤] وقول الجنرال بيجو[٥]: (إن أرض الجزائر أرض خصبة لزرع المسيحية، وأنه في خلال عشرين عاما لا يكون للجزائريين إله غير المسيح ) وفي مقابل ذالك شعب فقد هويته، وغتصبت منه أرضه، وحرم من تعلم دينه ولغته، وأصبح الناس يتعبدون بخرفات وبدع معتقدين أنها الدين الصحيح، وما ذاك الا أنها كانت تشجع وتدعم من قبل العدو الفرنسي.[٦]

---

2 ‘Ammār al-Ṭālibī, “Āthār ‘Abd al-Ḥamīd ibn Bādīs” vol. 1, 91, 92 bi-taṣarruf

3 Ustādh al-Tārīkh al-Dīnī bi al-Kullīyah al-Dīnīyah bi Bārīs tuwuffiya fī al-Jazā’ir, sanat 26-11-1892m.

4 ‘Abd al-Rashīd Razzūqah, *Jihād ibn Bādīs ḍidda al-Iḥtilāl al-Faransī fī al-Jazā’ir,* 18

5 ‘Abd al-Raḥmān ibn al-‘Aqūn, *al-Kifāḥ al-Qawmī min khilāl Mudhakkirāt mu‘āṣir*, vol. 1, 80

6 ‘Ammār al-Ṭālibī, “Āthār ‘Abd al-Ḥamīd ibn Bādīs” al-muqaddimah vol. 1, 18; Anẓur Ayḍan Aḥmad al-Khaṭīb, *Jam‘īyat ‘Ulamā’ al-Muslimīn al-Jazā’irīyīn wa Atharuhā al-Iṣlāḥī fī al-Jazā’ir* pṢ 61, bi-taṣarruf.

فالسؤال الجوهري الذي يقودنا إلى عنوان البحث هو : كيف استطاع الشيخ أن يوقد سراج العلم والهدى في زمن سعى العدو طمس نوره وتعتيمه بشتى الوسائل، وما هي السبل التي أعاد بها الحياة لشعب لم يعد يتفائل بالحياة الكريمة بسبب ما عاشوه من ظلم ودمار... ؟

وماهو المنهج الذي سار عليه في التعليم والتوعية والإرشاد من جهة ؟ ودحض الشبهات والخرفات التي كانت سائدة في المجتمع من جهة أخرى ؟ وما هي الشخصية العلمية التي لها أثر في بناء الإمام بن باديس ؟

## تعريف بالشيخ بن باديس ومكانته العلمية

### أولا: نبذة تعريفية موجزة بالشيخ

هو عبد الحميد بن محمد المصطفى بن المكي بن محمد كحول بن الحاج علي النوري بن محمد بن محمد بن عبد الرحمان بن بركات بن عبد الرحمان بن باديس الصنهاجي. ولد بمدينة «قسنطينة» يوم الأربعاء ١١ ربيع الثاني (١٣٠٧هـ) الموافق ٤ من ديسمبر (١٨٨٩م)[٧] الساعة الرابعة بعد الظهر، وسجل يوم الخميس ١٢ربيع الثاني (١٣٠٧ هـ) الموافق ٥ ديسمبر (١٨٨٩م)

كان عبد الحميد الابن الأكبر لوالديه، فقد نشأ في أحضان أسرة عريقة في العلم والجاه، وفي بيتها الكريم ترعرع معززا مكرما، لا ينقصه شيء من متاع الحياة الدنيا، وكان أبوه حريصا على أن يربيه تربية إسلامية خاصة؛ فلم يُدخله المدارس الفرنسية كبقية أبناء العائلات المشهورة، بل أرسل به للكتاب القرآني ككل الأطفال بالطريقة المألوفة المعروفة وهو في الخامسة من عمره، فحفظ القرآن وتجويده على يد الشيخ المقرئ «محمد

7 ʻAbd al-Qādir Faḍīl wa-Muḥammad al-Ṣāliḥ Ramaḍān, *Imām al-Jazā'ir ʻAbd al-Ḥamīd ibn Bādīs* (2007), 26

بن المدَّاسي» وعمره لم يتجاوز سن الثالثة عشرة[٨]

أما عائلته فقد اشتهرت على مر التاريخ برجال العلم والإصلاح، ومن رجال هذه الأسرة المشهورين في التاريخ الذين كان الشيخ عبد الحميد بن باديس يفتخر بهم كثيرا «المعز لدين الله بن باديس» [حكم: ٤٠٦-٤٥٤ هـ/١٠١٦- ١٠٦٢م] الذي أبعد النفوذ العُبيدي (الفاطمي) عن المغرب، وعمل على تنظيم انفصال المغرب الإسلامي سياسياً ومذهبياً عن الحكم العبيدي، وحارب الشيعة الرافضة في إفريقية، وحمل الناس على اعتناق المذهب السني، حيث قاوم البدعة ودحرها، ونصر السنة وأظهرها، وأعلن مذهب أهل السنة والجماعة مذهبًا للدولة، مؤسس الدولة الصنهاجية وابن الأمير «باديس بن منصور» والى إفريقيا والمغرب الأوسط [حكم: ٣٧٣-٣٨٦ هـ/٩٨٤- ٩٩٦م] سليل الأمير «بلكين بن زيري بن مناد المكنى بأبي الفتوح» والملقب سيف العزيز بالله الذي تولى الإمارة (٣٦١-٣٧٣ هـ/٩٧١- ٩٨٤م) إبان حكم \ الفاطمين[٩].

توفي رحمه الله في يوم ٠٨ ربيع الأول ١٣٥٩ الموافق لـ١٦ أفريل ١٩٤٠ م هـ توفي الشيخ عبد الحميد بن باديس بعد مسيرة حافلة بالعطاء والجهاد في سبيل الله .

## ثانيا: مرحلة البناء والتحصيل العلمي

لقد انتهج الإمام بن باديس نهج العلماء في طلبه للعلم، والفضل يعود بعد الله إلى والده الذي كان من حفظة كتاب الله، فقد ذكر الشيخ بن باديس في حفل ختم تفسير القرآن سنة (١٩٣٨م)، أمام حشد كبير من المدعوين: إن الفضل يرجع أولاً إلى والدي الذي ربّاني تربية صالحة

8 ʻAbd al-Qādir Faḍīl wa-Muḥammad al-Ṣāliḥ Ramaḍān, *Imām al-Jazā'ir ʻAbd al-Ḥamīd ibn Bādīs,* 27; Anẓur Ayḍan ʻAmmār al-Ṭālibī, "Āthār ʻAbd al-Ḥamīd ibn Bādīs", vol. 1, 74 .

9 ʻAmmār al-Ṭālibī, "Āthār ʻAbd al-Ḥamīd ibn Bādīs" vol. 1, 72.

ووجهني وجهة صالحة، ورضي لي العلم طريقة أتبعها ومشرباً أرده، وقاتني وأعاشني وبراني كالسهم وحماني من المكاره صغيراً وكبيراً، وكفاني كلف الحياة، فلأشكرنه بلساني ولسانكم ما وسعني الشكر. )١٠(

ختم عبد الحميد بن باديس حفظ القرآن وهو ابن ثلاث عشرة سنةعلى يد الشيخ محمد المداسي ثم قدم إلى صلاة التراويح ليؤم المصلين خلال شهر رمضان، بعدها تتلمذ على يد الشيخ حمدان الونيسي القسنطيني، فدرس عليه علوم اللغة العربية ومبادئ العلوم الشرعية، ويعتبر من أوائل الشيوخ الذين كان لهم أثر طيب في اتجاهه الديني، فلا ينسى ابن باديس وصية هذا الشيخ له إذ يقول (١١)»وإني لأذكر له وصية أوصاني بها، و عهدا عهد به إلي، وأذكر ذلك العهد في نفسي ومستقبلي وحياتي، فأجدني مدينا لهذا الرجل بمنة لا يقوم بها الشكر، فقد أوصاني وشدد علي أن لا أقرب الوظيفة ما حييت، ولا أتخذ علمي مطية لها «، كما كان يفعله أمثالي في ذلك الوقت.

**أهم الرحلات العلمية في مرحلة الطلب:**

**رحلته الأولى :**

لقد سافر الشيخ لطلب العلم وهو دأب أكثر العلماء في طلبهم وتحصيلهم للعلم، فقرر الشيخ الذهاب لتونس سنة ١٩٠٨م للدراسة في جامعة الزيتونة التي كانت تعد منبرا من منابر العلم والمعرفة في تلك الفترة،(١٢) وبعد ثلاث سنوات من الجد والاجتهاد تحصل على شهادة التطويع [كما كانت تدعى حين ذاك] عام (١٩١١م) وقد نجح في امتحان التخرج

10 ʻAbd al-Qādir Faḍīl wa-Muḥammad al-Ṣāliḥ Ramaḍān, *Marji Sabiq*, 27.

11 *al-Maṣdar al-Sābiq,* vol. 1, 87.

12 ʻAmmār al-Ṭālibī, *Marji ʻ Sābiq*, vol. 1, 75.

نجاحا باهرا، إذ حصل على الرتبة الأولى ضمن قائمة جميع الناجحين في تلك الدورة، وكان الطالب الجزائري الوحيد الذي تخرج في دفعة تلك السنة من الجامع المعمور وذلك بناء على وجوده في رأس قائمة الناجحين التي نشرتها جريدة «المشير» التونسية، وقد عرف ابن باديس أثناء دراسته في الزيتونة بالنشاط، وكان يتميز بحب الاطلاع الواسع، كما يبدو من خلال اتصالاته ببعض العلماء خارج الزيتونة حيث كان يحضر بعض الدروس غير المقررة في برنامج الزيتونة فهو يخبرنا إنه حضر على الشيخ «خضر بن الحسين» دروسه في تفسير البيضاوي في داره بباب منارة في تونس[١٣].

كما تأثر ببعض المشايخ الذين وجد في آرائهم وأفكارهم وأساليب تعليمهم ما يلائم طبعه وتطلعه، وميله إلى الاجتهاد واستعمال العقل، مثل الشيخ محمد النخلي القيرواني المتوفى سنة (١٣٤٢هـ - ١٩٢٣م ) الذي كان دائما يذكره ويثني عليه، فأخذ عنه التفسير ، وأخذ الأدب العربي وديوان الحماسة لأبي تمام على الشيخ محمد الطاهر بن عاشور المتوفى سنة (١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م) صاحب تفسير «التحرير والتنوير»وكان ابن عاشور فى بداية حياة التدريس بالزيتونة فهو أسن من ابن باديس بعشر سنوات فحسب، ولابن عاشور على ابن باديس فضل يتجاوز علم اللغة والأدب[١٤]، فقد كان ابن عاشور متأثرا بمدارس الإصلاح الإسلامى التى كانت تدعوا إلى نهضة الأمة الإسلامية، كما كان له دعوة لإصلاح التعليم فى كتابه «أليس الصبح بقريب» الذي ألفه سنة ١٩٠٧م، والذى عاب فيه على مناهج الزيتونة العقم والجمود، كما حاول الاستفادة من تصورات ابن عاشور الإصلاحية فى التعليم في مناهج مدرسته التربوية التي أسسها في الجامع الأخضر في قسنطينة، فضلاً عن مربين آخرين من المشايخ الذين كان لهم تأثير في نمو استعداده، وتعهّدوه بالتوجيه والتكوين،

13 Turkī Rābiḥ, *al-Shaykh 'Abd al-Ḥamīd ibn Bādīs Falsafatuh wa-Juhūduhu fī alrbyh wa al-Ta'līm, Nafs al-Maṣdar*, 159.

14 'Ammār al-Ṭālibī, *Marji' Sābiq*, vol. 1, 76.

كالبشير صفر، وسعد العياض السطايفي، ومحمّد بن القاضي وغيرهم[١٥]، وقد سمحت له هذه الفترة بالاطلاع على العلوم الحديثة وعلى ما يجري في البلدان العربية والإسلامية من إصلاحات دينية وسياسية، في مصر وفي الشام وغيرهم، ممّا كان لهذا المحيط العلمي والبيئة الاجتماعية، والملازمات المستمرّة لرجال العلم والإصلاح الأثر البالغ في تكوين شخصيته ومنهاجه في الحياة، كما تأثر ببعض الأفكار الإصلاحية التي بدأت تروج في تونس بعد زيارة محمد عبده لها.

وفى عام ١٩١٢ نال شهادة «التطويع» وهى شهادة التخرج من الزيتونة، وكعادة الخريجين في ذلك الوقت كان عليه أن يدرّس في جامع الزيتونة عاما واحدا، فدرَّس رحمه الله سنة ثم رجع إلى وطنه[١٦] .

**مرحلة التعليم**: بعد عودة الشيخ بن باديس من تونس تفرغ للتعليم في الجامع الكبير بقسنطينة، فباشر بعقد حلقات دراسية مثل التي شهدها في تونس وإلقاء دروس لبعض الطلبة من كتاب «الشفاء» للقاضي عياض، أما العامة فكان يقدم لهم دروسا في الوعظ والإرشاد، غير أن مدّة تعليمه في الجامع الكبير لم تظل، لأن مفتى المدينة الشيخ «المولد بن الموهوب» الإمام الخطيب بهذا الجامع، منعه من مواصلة التدريس[١٧]، بحجة أنه لا يملك إذنا بذلك، والحقيقة أن الشاب عبد الحميد رُخِّص له في ذلك، فقد اتصل والده بوالي عمالة قسنطينة، وسعى له في الحصول على إذن بالتدريس في الجامع الكبير، فأذن له ولكنه إذن شفوي، ولما شرع الشاب في التدريس اعتبر الشيخ بن الموهوب هذا العمل اعتداء على سلطته، لأنه

15 ʻAbd al-Ḥamīd Ibn Bādīs, Juwīliyat, *al-Shihāb,* vol. 5, M 13 (1937), 220.

16 Muḥammad Qāsim, *al-Imām ibn Bādīs al-Zaʻīm al-rūḥī li-ḥarb al-Taḥrīr al-Jazā'irīyah, al-Marjiʻ al-Sābiq*, 17.

17 ʻAmmār al-Ṭālibī, *Marjiʻ Sābiq*, vol. 1, 114.

لم يُستشر في ذلك، واعتبره تدخلا سافرا فيما هو من اختصاصه، لأن والد الشاب حتى وإن كان نائبا ساميا في عدة دوائر انتخابية ومالية على مستوى البلدية والعمالة والوطن، وله مكانته، إلا أنه رجل سياسة لا دخل له في أمور الدين[١٨].

هذا الأمر أثار حساسية ابن الموهوب، ومن هنا بدأت المواجهة بينه وبين المعلم الشاب، الذي لم يكن هدفه سوى نشر المعرفة وخدمة بلاده، فكانت دروسه ثورة على البدع والخرافات ونبذ العصبيات مما حرك عقول الناس وكان عاملا على تنبيههم من حالة الاحتلال والجهل، فسعى الشيخ المفتي في منع المدرس الشاب من التدريس بل تمادى، فكلف المفتي من يشوش عليه، ويطفئ المصابيح وقت الدرس، ولكن الشيخ عبد الحميد لم يستسلم، وكلف طلابه أن يحضروا الشموع ليدرسوا تحت ضوئها، وقابل المفتي عناد هذا الشاب المدرس بتصرف آخر، فأمر أحد اتباعه «الحاج القريشي» بالتصدي له ومنعه، فجاء وأطبق دفتي الكتاب أمام المدرس عبد الحميد، وأطفأ الشموع، وكادت تقع فتنة بينه وبين الطلاب، داخل المسجد ولكن المعلم المؤدب أخمد الفتنة وهدّأ طلابه، فصرفهم وأمرهم بترك الجامع والدرس[١٩].

تأثر الفتى عبد الحميد لمعاملة مفتي المدينة وحامي حمى الإسلام فيها، ولم تمضِ سوى مدة قصيرة حتى عزم على أداء فريضة الحج، ففاتح أباه في الموضوع وأبدى رغبته في الذهاب إلى البقاع المقدسة لأداء مناسك الحج، فقبل والده ووافقه، وهيأ له الأسباب التي تمكنه من تحقيق هذه الرغبة.

18 Muḥammad al-Ṣāliḥ al-Ṣiddīq, *al-Imām ʻAbd al-Ḥamīd ibn Bādīs Jihād wa Mawāqif bi Aqlām al-Udabāʼ* (al-Jazāʼir: Dār Hūmah, 2014), 67.

19 ʻAmmār al-Ṭālibī, *Marjiʻ Sābiq*, vol. 1, 80.

**رحلته الثانية :**

منّ الله على الشيخ أداء فريضة الحج عام (١٣٣١هـ= ١٩١٣م). وبعد أداء مناسك الحج والعمرة زار المدينة المنورة وأقام بها، وفي أثناء إقامته بها لقي أستاذه الأول الذي درس عليه في قسنطينة «الشيخ الونيسي» الذي هاجر إلى المدينة المنورة وأقام بها، وتعرف على بعض العلماء ومن رفقاء أستاذه مثل: الشيخ حسين أحمد الفيض أبادي الهندي، والشيخ الوزير التونسي، وألقى بحضورهم درسا في الحرم النبوي الشريف، فأعجبوا به إعجابا شديدا مما لفت الأنظار إليه[٢٠].

وفي هذه الأثناء أبدى رغبته في البقاء بالمدينة إلى جوار أستاذه «الونيسي» فرحب الأستاذ بهذه الفكرة ورغبه فيها، لما يعرف من أوضاع بلده. لكن الشيخ حسين أحمد الهندي لم يوافقه على ذلك، بل نصحه بضرورة العودة إلى وطنه لخدمة بلاده ومحاولة إنقاذها مما هي فيه، بما توسم فيه من حزم وعزم وصلاح، فاقتنع الشيخ بن باديس بوجهة نظر هذا الشيخ، وقبل نصيحته وقرر الرجوع إلى الوطن، عند ذاك حذره أستاذه «الونيسي» من أن يكون عبدا للوظيفة، لأنه تأكد أن الحكومة ستعرض عليه الوظائف، قال له «أحذر أن تقبل الوظيفة الحكومية، فهي قيد لك، يحدّ من نشاطك»، وأخذ عليه عهدا أن لا يقبل الوظيفة، ولا يتخذ علمه سلما للأغراض المادية والأطماع الدنيوية، فعاهده تلميذه على ذلك، ووفى بهذا العهد [٢١].

وقد حرص الشيخ بن باديس في هذه الرحلة على الاتصال بالمفكرين والعلماء للتحاور معهم والاطلاع على أحوال المسلمين ومقارنتها بأحوال بلاده، ودفعه هذا الاتصال إلى التفاعل مع الحركة الإصلاحية التي انتشرت

20 Muḥammad al-Ṣādiq ibn Muḥammad, *Khayr al-Dīn al-Ziriklī* 6 (1938), 126, 127.

21 Turkī Rābiḥ, *al-Shaykh ʻAbd al-Ḥamīd ibn Bādīs falsafatuh wa-juhūduhu fī alrbyh wa-al-taʻlīm*, nafs al-maṣdar, 162.

على يد الشيخ محمد عبده وتلميذه رشيد رضا، متأثرين بالحركة السلفية التي انتشرت في الحجاز.

وخلال الفترة التي قضاها في المدينة المنورة تعرف إلى شاب جزائري في مثل سنه عالم وأديب، هو الشيخ «محمد البشير الإبراهيمي» المقيم مع والديه في المدينة، أقام معه مدة تعارفا فيها وتحاورا معا في شأن الخطة الإصلاحية التي يجب أن تضبط لعلاج الأوضاع المتردية في الجزائر، واتفقا على خدمة بلادهما متى عادا إليها.

وقد ذكر الشيخ البشير الإبراهيمي أنهما لم يفترقا طيلة الأشهر الثلاثة التي قضاها ابن باديس بالمدينة، فكانا يقضيان الليل كله يحللان أوضاع الجزائر، ويحددان شروط ووسائل نهضتها. ولم يكن أيّ منهما يدري أن هذا اللقاء الذي تم خارج الوطن ستكون له ثمار طيبة وسيصبح هذا العالم الشاب المهاجر إلى المدينة رفيق دربه في الكفاح و النضال بعد الرجوع إلى الوطن في العشرينات[٢٢].

وفي طريق عودته من الحجاز عرّج على الشام (دمشق وبيروت) وزار المسجد الأقصى، وتوقف بمصر ولقي في الإسكندرية كبير علمائها الشيخ «أبا الفضل الجيزاوي» الذي أصبح من بعد شيخا للأزهر، فتعارفا وتذاكرا وأجازه، وفي القاهرة لقي مفتي الديار المصرية الشيخ «محمد بخيث المطيعي» رفيق محمد عبده، والمدافع عن فكرته بعد وفاته، وكان الشاب عبد الحميد يحمل للشيخ رسالة من أستاذه «الونيسي» فأحسن استقباله، ودعاه إلى زيارته في منزله بحلوان القريبة من القاهرة. وبعد تعرف الشيخ على الشاب جيدا أجازه هو أيضا،[٢٣] هكذا استطاع أن يلم بأطراف من العالم العربي،

22 Khālid al-Najjār, *'Abd al-Ḥamīd ibn Bādīs Rā'id al-Nahḍah al-'Ilmīyah wa-al-iṣlāḥīyah fī al-Jazā'ir (1307h : 1889m-1359h : 1940m)* (2012), 40.

23 'Ādil Nuwayhiḍ, *Mu'jam A'lām* (Lubnān: Mu'assasat Nuwayhiḍ al-Thaqāfīyah, 1980), 78, ṭ2.

ليعرف ما فيه زيادة عما كان يعرفه في الجزائر وتونس.

## بصمة ابن باديس التجديدية في مجال التعليم بعد عودته إلى الجزائر

### أولا: المعاهد والمدارس العلمية

لقد أدرك بن باديس أن السياسة المتبعة من طرف العدو الفرنسي هو الحرص على طمس الدين الاسلامي والهوية واللغة العربية من خلال قتل العلماء وحرق المكتبات وإغلاق المدارس العربية والاستحواذ على أوقاف المسلمين...وغير ذالك مما يتبين جليا في أفعالهم وسلوكهم، يقول أحد الغربيين واصفًا ذلك: إن الفرنسيين عندما فتحوا مدينة قسنطينة في شمالي أفريقيا، أحرقوا كل الكتب والمخطوطات التي وقعت في أيديهم، كأنهم من صميم الهمج .

فقد كانت الجزائر قبل دخول الإستعمار (١٨٣٠م) تحفل بالمدارس والزوايا في جميع أنحاء الوطن كانت المدارس والمعاهد والزوايا منتشرة في مختلف نواحي الجزائر ، وكان يشرف عيها أئمة وعلماء مشهود لهم بعلو المكانة ورسوخ القدم في العلم والمعرفة، مثل الشيخ (الثميني) في الجنوب، والشيخ (الداوودي) في تلسمان، والشيخ (ابن الحفّاف) بالعاصمة، والشيخ (ابن الطبّال) بقسنطينة، والشيخ (محمد القشطولي) في بلاد القبائل[٢٤]، وغيرهم كثير ممن تفرّغوا للتدريس ونشر العلم وكانت ثمرة تعليمهم أن أصبحت نسبة المتعلمين في الجزائر تفوق نسبة المتعلمين في فرنسا، فقد كتب الجنرال فالز سنة ١٨٣٤م بأن كل العرب الجزائريين تقريبًا يعرفون القراءة والكتابة، حيث إن هناك مدرستين في كل قرية... أما الأستاذ ديميري، الذي درس طويلاً الحياة الجزائرية في القرن التاسع عشر، فقد أشار إلى أنه قد كان في قسنطينة وحدها قبل الاحتلال خمسة وثلاثون

24 Abū al-Qāsim Sa'd Allāh, *al-Marji' al-sābiq*, 55, (bi-taṣarruf).

مسجدًا تستعمل كمراكز للتعليم، كما أن هناك سبع مدارس ابتدائية وثانوية يحضرها بين ستمائة وتسعمائة طالب، ويدرّس فيها أساتذة محترمون لهم أجور عالية[٢٥]، وقد أحصيت المدارس في الجزائر سنة ١٨٣٠م، بأكثر من ألفي مدرسة ما بين ابتدائية وثانوية وعالية، وكتب الرحالة الألماني (فيلهلم شيمبرا) حين زار الجزائر في شهر ديسمبر ١٨٣١م، يقول: (لقد بحثتُ قصدًا عن عربي واحد في الجزائر يجهل القراءة والكتابة، غير أني لم أعثر عليه، في حين أني وجدت ذلك في بلدان جنوب أوروبا، فقلما يصادف المرء هناك من يستطيع القراءة من بين أفراد الشعب)[٢٦]،وخير المثال ما شهد به الأعداء.

فعمل ابن باديس على نشر التعليم، والعودة بالإسلام إلى منابعه الأولى، ومقاومة الزيف والخرافات، ومحاربة الفرق الصوفية الضالة التي عاونت المستعمر.

واستأنف مشروعه الذي بدأه قبل سفره إلى الحجاز والذي يرتكز على العمل الإصلاحي من خلال نشر التعليم وتربية الأجيال، وحتى لا يتكرر ما حدث بينه وبين الشيخ ابن الموهوب، استصدر له أبوه رخصة رسمية من والي عمالة «قسنطينة» تسمح له بأن يدرس بالجّان في «الجامع الأخضر» أحد المساجد الثلاثة الجامعة في المدينة التي تشرف عليها الحكومة.

وهكذا بدأ التدريس هذه المرة وفي يديه إذن قانوني، يخوّل له ذلك.

**ثانيا: منهج بن باديس في التدريس**

انتهج ابن باديس سبيل الجيل الأول الذي ساد العالم أجمع بحضارته

25 Abū al-Qāsim Sa'd Allāh, *Munṭalaqāt fkryh* (Tūnis: al-Dār al-'Arabīyah li al-Kitāb, 1976), 130.

26 Abū al-'Īd Dūdū, *al-Jazā'ir fī Mu'allafāt al-Raḥḥālīn al-Almān 1830-1855* (al-Jazā'ir: al-Sharikah al-Waṭanīyah lil-Nashr wa-al-Tawzī', 1975), 33.

وعقيدته المنبثقة من الوحيين، فكان تركيزه على تدريس كتاب الله أولا، فهو الكتاب الذي ربى به محمد صلى الله عليه وسلم الجيل الفريد من الصحابة رضوان الله عليهم، وهو النور الذي ينصر الله به أمته ويرفعها به على الأمم، قال الله جل وعلا : {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ}(النور/٥٥). ويصف الامام بن باديس نهجه وهدفه فيقول: (فإننا نربي — والحمد لله– تلامذتنا على القرآن، ونوجه نفوسهم إلى القرآن من أول يوم وفي كل يوم، وغايتنا التي ستحقق أن يكون القرآن منهم رجال كرجال سلفهم، وعلى هؤلاء الرجال القرآنيين تعلق هذه الأمة آمالها وفي سبيل تكوينهم تلتقي جهودنا وجهودها)[٢٧]، فيتمثل جليا من كلام الشيخ أنه كان يرى أن هذه الأمة لن تصلح إلا إذا اتبعت سبيل الأولين، كما كان يقول الامام مالك رحمه:( لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح أولها) [٢٨].

وقد كان الشيخ يراعي مستوى الطلاب، فهناك دروس خاصة بطلبة العلم المتخصصين في الشريعة، ودروس لعامة المسلمين، يلقى بعضها في الجامع الأخضر وبعضها في مسجد «سيدي قموش»، لا يتقاضى على عمله من الحكومة ولا غيرها أجرا. وكان من دروسه العامة تفسير القرآن، الذي قضى خمس وعشرين سنة في تفسيره، فاحتفلت الجزائر بختمه في ١٣ من ربيع الثاني (١٣٥٧هـ= ١٩٣٨م). والحديث النبوي الشريف من الموطأ حتى ختمه في أواسط ربيع الثاني عام (١٣٥٨هـ = ١٩٣٩م).

وبعد أن ازداد عدد الطلاب ولقي بن باديس قبولا في المجتمع وأصبح

27 ‘Ammār al-Ṭālibī, *marji‘ sābiq*, vol. 1, 107.

28 al-Qāḍī ‘Iyāḍ, *al-Shifā bi-ta‘rīf Ḥuqūq al-Muṣṭafá* (‘Ammān: Dār al-Fayḥā’, 1987), 98..

الناس يأتونه من كل أنحاء القطر الجزائري للاستفادة من علمه وحنكته وخبرته...، أسس جمعية بترخيص من طرف الدولة في شهر مارس، سنة ١٩٣١م[٢٩]، وجعلها مشتملة على عدة أقسام منها: مكتب للتعليم، ومجلة للأيتام، وناد للمحاضرات، ومعمل للصنائع، وارطلبة للكليات، والمعامل الكبرى وغيرها.

وقد كون الإمام بن باديس لجانا متعددة التخصصات تشرف على الطلبة في عدة جوانب:

١. جانب الإشراف على الطلبة من حيث المناهج التعليمية المقررة التي وضعها الشيخ نفسه، في اللغة والتفسير والفقه والحديث والتاريخ والمنطق...، بالإضافة إلى المواد التي ألحقها فيما بعد كالجغرافيا والرياضيات والفلك وغيرها.

٢. جانب يشرف على التربية الأخلاقية وتهذيب النفوس والسمو بها، لتكون قادرة على مواجهة وتحمل المسؤلية التي على عاتقها، ولهذا كان يقول ( إن الذي نوجه إليه الاهتمام الأعظم في تربية أنفسنا، وتربية غيرنا هو تصحيح العقائد، وتقويم الأخلاق، فالباطن أساس الظاهر)[٣٠].

٣. جانب يشرف على الدعم المادي للطلاب من معيشة وإيواء للطلبة، بالإضافة إلى أطباء متطوعين يقومون بزيارة الطلبة لتقديم العناية الصحية لهم .

29 ‘Ammār al-Ṭālibī, *Marji‘ Sābiq*, vol. 1, 114.

30 Ibn Bādīs, *Majālis al-tadhkīr min kalām al-Ḥakīm al-khabīr*, t, Abū ‘Abd al-Raḥmān Maḥmūd (al-Jazā’ir: Dār al-Rashīd, 2009), tafsīr Āyat 84-85 min Sūrat al’srā’.

كما طلب الشيخ أن تكون للجمعية فروع في جميع أنحاء الجزائر حتى يتسنى لكل فرد في الجزائر التعليم الصحيح وتوعيته لأداء رسالته التي من أجلها التي خلق، وكذا توعيته للوقوف في وجه العدو الغاصب، فقد كان حريصا على النهوض بوطنه أيما حرص فقد كان يقول: ( أنا أشعر بكل مقوماتي الشخصية مستمدة من الوطن مباشرة، فأرى من الواجب أن تكون خدماتي أول ما تتصل بشيء تتصل به مباشرة، لأنني كلما أردت عملا وجدتني في حاجة إليه، إلى رجاله وماله، وحاله، آلامه، وآماله) [٣١] ولم يكن الشيخ همه الجزائر فحسب بل الأمة الاسلامية أجمع؛ ولهذا لما رأى أن التعليم في جامعة الزيتونة لا يؤدي دوره كما ينبغي، أدلى برئيه في محاولة منه المساهمة في تغيير مناهج التعليم في الزيتونة، فأرسل اقتراحه إلى اللجنة المهتمة بوضع المناهج التي شكلها الباي سنة ١٩٣١م.

فشمل اقتراحه المواد الشرعية كالفقه والحديث، وكذالك العلوم الكونية كالفلك والجغرافيا... ثم قسمها إلى مرحلتين:

**المرحلة الأولى:** مرحلة المشاركة أو المرحلة العامة، وجعل مدة الدراسة في هذا القسم لا تقل عن ثماني سنوات، يتعلم خلالها الطلبة:

١) فنون اللغة العربية، وتاريخ الأدب العربي...مع ضرورة التطبيق التي تحصل للطالبي بها ملكة كالإعراب والتصريف...

٢) العقائد الإسلامية[٣٢]: على أن تؤخذ من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، دون الخوض في مسائل الجدل والمنطق التي زاغت بسببها كثير من الفرق على الصواب .

٣) الفقه: بحيث يُقتصَر فيه على تقرير المسائل مع أدلتها وأصولها .

31 ʻAmmār al-Ṭālibī, *Marjiʻ Sābiq*, vol. 1, 106.

32 al-ʻIṭarī ibn ʻAzzūz, "al-Buʻd al-Iṣlāḥī fī al-Khiṭāb al-ʻAqadī ʻinda Ibn Bādīs, Jāmiʻat al-Jaflah, al-Jazā'ir," *Majallat al-ʻUlūm al-Islāmīyah wa-al-ḥaḍārah*, vol. 2 (2016).

٤) تفسير القرآن العظيم: تفسير الجلالين مع التركيز على فهم مفرداته ومعانيه .

٥) الحديث النبوي: دراسة مختارات من كتب السُّنة.

٦) التربية الأخلاقية: من الآيات والأحاديث وآثار السلف الصالح.

٧) الحساب والجغرافيا ومبادئ الطبيعة والفلك والهندسة.

**المرحلة الثانية**[٣٣]: مرحلة التخصص، لمَّا كان المتخرِّجون من الجامعة الزيتونية على ثلاثة أصناف حسبما يتصدَّرون إليه بعد تخرُّجهم، رأى ابن باديس أن يفرّع قسم التخصص إلى ثلاثة فروع كالآتي:

١) فرعٌ للتخصص في القضاء والإفتاء: على أن لا تقل مدة الدراسة فيه عن أربع سنوات، يدرس خلالها الطلبة ما يأتي:

التوَسَّع في فقه المذهب، ثم في الفقه العام، ويكون كتاب (بداية المجتهد) من الكتب التي يدرسونها.

دراسة آيات وأحاديث الأحكام، ودراسة علم التوثيق، والتوسع في علم الفرائض والحساب، ويطلعون على مدارك المذاهب؛ حتى يكونوا فقهاء إسلاميين، ينظرون إلى الدنيا من مرآة الإسلام الواسعة، لا من عين المذهب الضيقة.

٢) فرع للتخصص في الخطابة والإمامة: تكون مدة الدراسة فيه سنتين، يتوسَّع الطلبة خلالها في صناعة الإنشاء، والاطلاع على أنواع الخطب، مع دراسة آيات المواعظ والآداب وأحاديثهما، ويتوسعون في السيرة النبوية ونشر الدعوة الإسلامية، ويتمرَّنون على إلقاء الخطب الارتجالية.

33 Turkī Rābiḥ, *al-Shaykh ʻAbd al-Ḥamīd ibn Bādīs: Rāʼid al-iṣlāḥ wa-al-tarbiyah fī al-Jazāʼir* (al-Jazāʼir: al-Sharikah al-Waṭanīyah li al-Nashr wa al-Tawzīʻ, 1981), ṭ3, 45.

٣) فرع للتخصص في التعليم، تكون مدة الدراسة فيه سنتين، يتوسع الطلبة خلالها في العلوم التي يريدون التصدي لتعليمها، وتمرينهم على التعليم بالفعل، مع التركيز على دراسة كتب فنِّ التعليم.

إضافة إلى كلِّ هذه المقترحات التي تدخل في صميم البناء الترشيدي للعمل الإصلاحي الذي يتولاه خريجو هذا الجامع المعمور في سائر بلدانهم، وعلى الأخص منهم العائدون إلى بلدان المغرب العربي.

ويرى ابن باديس: «أن المعلمين في قسم الاشتراك يكونون من الحائزين على شهادة التخصص في التعليم، وكذلك المعلمون في فرع التخصص للتعليم، وأما المعلمون في فرع القضاء والفتوى فلا بد أن يكونوا ممن تخصصوا فيهما وتخصصوا في التعليم، وكذلك المعلمون في فرع الخطابة»[٣٤].

ويتبين جليا أن الشيخ كان حريصا على بناء جيل رباني، عالم بدينه مجتهد في أحكامه، بصير بزمانه وعاداته، قادر على النهوض بأمته، ولا يصل الشخص لوضع منهج كهذا المنهج إلا من أوتي علما وبصيرة يدرك بها ماهية هاته العلوم وغايتها وثمرتها.

## العوامل التي كونت الإمام بن باديس

لقد تناول الإمام بن باديس بنفسه الحديث عن شخصيته في ختام حفلة التكريم التي خصه بها إخوانه العلماء وتلاميذه بمناسبة الاحتفال بختم تفسيره للقرآن، قال رحمه الله:

أنا رجل أشعر بكل ما له أثر في حياتي وبكل من له يد في تكويني، وإن الإنصاف ليدعوني أن أذكر في هذا الموقف بالتمجيد والتكريم كل العناصر التي كان لها الأثر في تكويني حتى تأخذ حظها مستوفى من كل ما أفرغتم

34 ʻAmmār al-Ṭālibī, *Āthār ʻAbd al-Ḥamīd ibn Bādīs, Marjiʻ Sābiq*, 113, 114 bi-taṣarruf

علي من ثناء ومدح .. وإني أشهد أن هذا التحفي عسير علي، ثقيل علي حمله. فلعلي إذا ذكرت هذه العناصر توزعت حصصها من التنويه، وتقاضت حقوقها من الثناء، الذي أثقلتم به كاهلي، فأكون بذلك قد أرضيت ضميري، وحففت على نفسي)[٣٥](.

١ – إن الفضل يرجع أولا إلى والدي الذي رباني تربية صالحة، ووجهني وجهة صالحة، ورضي لي العلم طريقة أتبعها، ومشربا أرده، وقاتني وأعاشني، وبراني كالسهم، وراشني، وحماني من المكاره صغيرا وكبيرا، وكفاني كلف الحياة فلأشكرنه بلساني ولسانكم ما وسعني الشكر.

٢ – ثم لمشائخي الذين علموني العلم، وخطوا لي مناهج العمل في الحياة، ولم يبخسوا استعدادي حقه، وأذكر منهم رجلين لهما الأثر البليغ في تربيتي، وفي حياتي العملية، وهما من مشائخي اللذان تجاوزا بي حد التعلم المعهود إلى التربية والتثقيف، والأخذ باليد إلى الغايات المثلى في الحياة؛ أحد الرجلين: الشيخ حمدان الونيسي القسنطيني، وثانيهما: الشيخ محمد النخلي القيرواني المدرس بجامع الزيتونة المعمور)[٣٦](.

وإني لأذكر لأول وصية أوصاني بها، وعهدا عهد به إلي، وأذكر ذلك العهد في نفسي ومستقبلي وحياتي، فأوجدني مدينا لهذا الرجل بمنة لا يقوم بها الشكر، فقد أوصاني وشدد علي أن لا أقرب الوظيفة ما حييت، ولا أتخذ علمي مطية لها، كما كان يفعله أمثالي في ذلك الوقت.

وأذكر للثاني كلمة لا يقل أثرها في ناحيتي العلمية عن أثر تلك الوصية في ناحيتي العملية، وذلك أني كنت متبرما بأساليب المفسرين وتأويلاتهم الجدلية في كلام الله، ضيق الصدر من اختلافهم فيما لا اختلاف فيه

35 al-Mīlī, *Ibn abdys w'rwbtāljzā'r* (al-Jazā'ir: Wizārat al-Thaqāfah al-Jazā'irīyah, 2007), 12.

36 Majallat al-Shihāb, 1930-1929, mujallad, 1 Juz', 7,p5.

من القرآن ..، فذاكرت يوما الشيخ النخلي فيما أجده في نفسي من التبرم والقلق، فقال لي: «اجعل ذهنك مصفاة لهذه الأساليب المعقدة، وهذه الأقوال المختلفة، والآراء المضطربة يسقط الساقط، ويبقي الصحيح وتستريح» فوالله لقد فتح عن ذهني آفاقا واسعة عهد له بها[٣٧].

٣ – ثم لإخواني العلماء الذين آزروني في العمل من فجر النهضة إلى الآن، فمن حظ الجزائر السعيد، ومن مفاخرها التي تتيه بها علي الأقطار أنه لم يجتمع في بلد من بلدان الإسلام اليوم فيما رأينا وسمعنا وقرأنا مجموعة من العلماء، وافرة الحظ من العلم، مؤتلفة القصد والاتجاه، مخلصة النية، متينة العزائم، متحابة في الحق، مجتمعة القلوب على الإسلام والعربية، قد ألف بينها العلم والعمل ،مثلما اجتمع للجزائر في علمائها، فهؤلاء هم الذين وري بهم زنادي، وتأثل بطارفهم تلادي، أطال الله أعمارهم، و رفع أقدارهم.

٤ – ثم لهذه الأمة الكريمة المعوانة على الخير، المنطوية على أصول الكمال التي – ما عملت يوما – علم الله – لإرضائها لذاتها، وكأن الشيخ يشير إلى قول الله جل وعلا: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمْ الْفَاسِقُونَ}(آل عمران/ ١١٠).

وإنما عملت وما أزال أعمل لإرضاء الله بخدمة دينها ولغتها، ولكن الله سددها في الفهم، وأرشدها إلى صواب الرأي، فتبينت قصدي على وجهه، وأعمالي على حقيقتها، فأعانت ونشطت بأقوالها وأموالها، وبفلذات أكبادها، فكان لها بذلك كله من الفضل في تكويني العملي، أضعاف ما كان لتلك العناصر في تكويني العلمي.

37 Ṣārī Aḥmad, *Filly ‘Abd al-‘Azīz: albyt albādysy msrh ‘ilm wdn wsāsh* (al-Jazā’ir: Dār al-Hudá, Ain Milah, 2014), 33.

٥ – ثم الفضل أولا وأخيرا لله ولكتابه الذي هدانا لفهمه، والتفقه في أسراره، والتأدب بآدابه، وإن القرآن الذي كون رجال السلف لا يكثر عليه أن يكون رجالا في الخلف، لو أحسن فهمه و تدبره، وحملت الأنفس على منهاجه،[٣٨] مصداقا لقول الحق سبحانه: {وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ }(النحل/٥٣).

**نظرة بن باديس للعلم والعلماء**

إن رجلا يقول: ( لا حياة إلا بالعلم، وإنما العلم بالتعلم، فلن يكون عالما إلا من كان متعلما، كما لن يصلح معلما إلا من كان متعلما)[٣٩] لهو مدرك للرسالة التي من أجلها خلق، بأن الأمة لا يقام لها دينا ولا أمنا ولا عدلا بدون علم، وأن الذل والمهانة والخضوع لغير الله أساسها الجهل

ولقد صدق من قال[٤٠] :

وَفي الجَهلِ قَبلَ المَوتِ مَوتٌ لِأَهلِهِ وَأَجسادُهُم قَبلَ القُبورِ قُبورُ

وَإِنَّ اِمرَءاً لَم يُحيِ بِالعِلمِ مَيِّتٌ وَلَيسَ لَهُ حَتّى النَشورِ نُشورُ

وابن باديس ليس كما يتصوره البعض أنه كان يركز على العلوم الشرعية فقط، فالشيخ كان يهتم بكل الجوانب العلمية الشرعية والدنيوية على حد سواء ما دامت لا تضر بالدين والعقيدة، حريصا على كل ما يؤدي إلى الرقي بأمتنا ودفعها إلى أمام، مشجعا كل من له القدرة والخبرة على نفع

38 ‘Ammār al-Ṭālibī, *Āthār ‘Abd al-Ḥamīd ibn Bādīs, marji‘ sābiq*, 174, 175.

39 Muṭabbaqānī Māzin Ṣulḥ, *‘Abd alḥmd ibn Bādīs al-‘ālam al-rabbānī wālzm alsāsy* (al-Jazā’ir: Dār Banī mzghnh, 2015), 72.

40 Tunsabu Hādhihi albytyn ilá ‘Alī Raḍī Allāh ‘anhu

أمته يقول رحمه الله: ( عليكم أن تلتفوا إلى أمتكم فتنتشلوها مما هي فيه بما عندكم من العلم، وبما كتسبتم من خبرة ، محافظين لها على مقوماتها سائرين بها في موكب المدنية) [٤١].

ولذلك لم يؤلف كثيرا من الكتب لانشغاله بتربية الأجيال، شأنه في ذالك شأن كثيرا من العلماء رحمهم الله، كما كان حريصا على تصحيح مناهج التعليم، وجعلها علوما عملية غير جامدة، محذرا من الاقتصار على حفظ الفروع ودراسة علوم الآلة دراسة نظرية محضة، فيمضي الطالب كل حياته مقلدا، لم يدرك الغاية التي من أجلها درس تلك الكتب، لأنها لم تدرس بالطريقة الصحيحة، وقد كان يقول: ( لن يصلح المسلمون إلا بصلاح علمائهم، لأنهم بمثابة القلب للأمة، ولن يصلح العماء إلا إذا صلح تعليمهم )[٤٢].

ولهذا كان ينكر رحمه الله على طريقة التدريس في المغرب العربي مثلا في الفقه، وهي الاقتصار على حفظ الفروع من غير ربطها بأصولها وأدلتها ومناطها، وقد اعتبر هذا نوع من الهجران للقرآن فقال: ( اقتصرنا على قراءة الفروع الفقهية، مجردة بلا نظر، جافة بلا حكمة، وراء أسوار من الألفاظ المختصرة، تفني الأعمار قبل الوصول إليها)[٤٣]

فتفكير بن باديس الذي تميز به هو الجمع بين العلم الصحيح واتباعه بالعمل ويرى أن السبيل الذي نجح به المسلمون الأولون في تغيير العالم هو سلوكهم وأخلاقهم الصادقة التي طبقوها ظاهرا وباطنا ولم يقتصر على هذا بل أدخل الصناعات التطبيقية واليدوية، فكان يهدف إلى بناء شخصية متكاملة متعددة الجوانب وقد قال

41 Ammār al-Ṭālibī, *Āthār ʻAbd al-Ḥamīd ibn Bādīs, marjiʻ sābiq*, 42.

42 Ammār al-Ṭālibī, *Āthār ʻAbd al-Ḥamīd ibn Bādīs, marjiʻ sābiq*, 35.

43 ʻAbd al-ʻAzīz Fīlālī, *al-Shaykh ʻAbd Alḥmid ibn Bādīs waʻyihi bālāḥtlāl wa-al-Thaqāfah alghrbh min khilāl arshif aālstkhbārāt alfrnsh* (al-Jazā'ir: Dār al-Hudá, 2016), 25.

في هذا الصدد: (إن الكمال الإنساني متوقف على قوة العلم، وقوة الإرادة، وقوة العمل فهي أساس الخلق الكريم والسلوك الحميد)[٤٤]

**تعليم المرأة عند بن باديس**

الثقافة الاجتماعية التي كانت سائداة في زمن ابن باديس هي عدم الاهتمام بتعليم البنات وتثقيفهن لأداء وظيفتها في المجتمع على الوجه الائق بها، بل كان التعليم مقصورا على البنين غالبا، وهذا الأمر الذي جعل بن باديس ينتفض ويرفضه بشدة لأن الشارع الحنيف خاطب الذكر والأنثى على حد سواء في الحرص على طلب العلم، ولا يوجد نص يخص الرجل وحده، قال تعالى : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون » [ التوبة ١٢٢ ] .

قال القرطبي رحمه الله : « هذه الآية أصل في وجوب طلب العلم .

وقال رحمه الله أيضاً : طلب العلم فضيلة عظيمة ومرتبة شريفة لا يوازيها عمل [45]».

لأنها شقيقة الرجل، فهي التي تبني النشأ، فكيف ننتظر جيلا متعلما من أم غير متعلمة ! ففاقد الشيء لا يعطيه، واستدل أيضا بقوله صلى الله عليه من حديث الشفاء بنت عبد الله قالت: دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عند حفصة، فقال لي:

44 Ammār al-Ṭālibī, *Āthār ʻAbd al-Ḥamīd ibn Bādīs, marjiʻ sābiq*, 104.
45 al-Qurṭubī, *al-Jāmiʻ li Aḥkām al-Qur'ān* (al-Qāhirah: Dār al-Kutub al-Miṣrīyah, ṭ2, vol. 8 (1964), 266, 268.

(ألا تعلّمين هذه رقيةَ النملة كما علّمتيها الكتاب)[٤٦].

وكذالك بتاريخنا الحافل بالداعيات والعالمات في مقدمتهن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها التي قال عنها عروة ابن اختها واحد فقهاء المدينة « لقد صحبت عائشة فما رأيت أحدا قط كان أعلم بآية انزلت ولا بفريضة ولا بسنة ولا بكذا ولا بكذا.. منها [٤٧]»

وقد وجه رسالة يتبين فيها مدى حرصه واهتمامه بتعليم المرأة والجودة في تعليمهم (على المربين لأبنائنا وبناتنا، أن يعلموهم ويعلموهن هذه الحقائق الشرعية ليتزودوا وليتزودن بها، وبما يطبعونهم ويطبعونهن عليه من التربية الاسلامية العالية، لميادين الحياة) [٤٨]

وفي المقابل رد على دعاة السفور الذين يريدون سبغ الرأة بالسبغة الأروبية البعيدة كل البعد عن ديننا وعقيدتنا وأخلاقنا، وبين الهدف الذي يسمو إليه وهو رفع حجاب الجهل عن النساء بنشر العلم النافع والقيم الأخلاقية في نفوسهن فقال: (وإذا أردتم إصلاحها الحقيقي فارفعوا حجاب الجهل عن عقلها قبل أن ترفعوا حجاب الستر عن وجهها، فإن حجاب الجهل هو الذي أخرها، وأما حجاب الستر فإنه ما ضرها في زمان تقدمها، فقد بلغت بنات بغداد وبنات قرطبة وبنات بجاية مكانة عالية ما ضرّها في العلم وهنّ متحجبات) [٤٩].

46 Rawāh Abū Dāwūd fī al-ṭibb, Bāb : mā jā'a fī al-ruqá , Hadith n.3887

47 al-Dhahabī, *Siyar A'lām al-Nubalā',* vol. 2 (Miṣr: Dār al-Hadīth, 2006), 181.

48 Ammār al-Ṭālibī, *Āthār 'Abd al-Ḥamīd ibn Bādīs*, marji' sābiq, p105.

49 Majallah al-Shihāb, 1949, J : 10, M : 05, November.

## الخاتمة وأهم النتائج

في ختام هذه الرحلة العلمية المباركة؛ مع النهضة العلمية للفقيه عبد الحميد بن باديس، أعرض أهم النتائج التي أسفر عنها البحث فيما يلي:

١. خلفية ابن باديس الفقهية، وسعته العلمية،كان لها أثر واضح في تميُّز شخصيته، وعمق فهمه، وبعد نظره. وقد انعكس ذلك بشكل واضح على اسهاماته في عدة مجالات، كما جعل شخصيته تحظى بإعجاب واهتمام الكثير من العلماء والباحثين.

٢. نهضة الفقيه ابن باديس العلمية، من تفرغه للتعليم من قبل الفجر إلى العشاء، وبناء المؤسسات التعليمية، ودخول عالم الصحافة والكتابة في المجلات، ناتج عن الأمانة العلمية والشرعية التي كان يشعر بها نحو دينه ووطنه.

ضرب الإمام ابن باديس أروع الأمثلة التي ينبغي أن يحتذى بها، وهي أن مجالات الإمام أو العالم أو المصلح غير مقتصرة على الجانب التعليمي فقط، وإنما من حقه المشاركة في الجوانب الأخرى، الإجتماعية والسياسية وغيرها من الجوانب التي ترتقي بالمجتمع وتحفظ للأمة دينها وكيانها.

جمع ابن باديس بين الأصالة والمعاصرة في التعليم، فلم يستغن عن مناهج وكتب التراث بالكلية ولم يكتف بها، وإنما أخذ ما يناسب الطلاب لتحصيل الملكة من جهة ومن جهة أخرى ما يناسب واقعهم وعصرهم.

يعد ابن باديس أول من جدد وأحيا سنة تعليم المرأة بعد أن أسدل الاستعمار حجاب الجهل عليها، وكان يشرف على تعليمهن إضافة إلى فتح مؤسسة تمكنهن من تعليم مهنة تناسب طبيعتهن.

## REFERENCES


Aḥmad, Ṣ. *Albāt al-Bādysy msrh ʻIlm wdn wsāsh, al-Jazā'ir* (Algeria: Dār al-Hudā, 2014).

Aqīl, *Min Aʻlām al-Daʻwah wa-al-Ḥarakah al-Islāmīyah al-Muʻāṣira*h (al-Qāhirah: Dār al-Tawzīʻ wa al-Nashr, 2000).

ʻAzzūz, a.-ʻ. i., "al-Buʻd al-Iṣlāḥī fī al-Khiṭāb al-ʻAqadī ʻinda Ibn Bādīs," *Majallat al-ʻUlūm al-Islāmīyah wa-al-Ḥaḍārah* 2 no. 20 (2016).

ʻAzzūz, a.-ʻ. i., "al-Buʻd al-Iṣlāḥī fī al-Khiṭāb al-ʻAqadī ʻinda Ibn Bādīs," *Jāflah, al-Jazā'ir, Majallat al-ʻUlūm al-Islāmīyah wa-al-Ḥaḍārah* 2 (2016).

Bādīs, A. a.-Ḥ., *Majālis al-Tadhkīr min Kalām al-Ḥakīm al-Khabīr* (Algeria: Dār al-Baʻth lil-Ṭibāʻah wa-al-Nashr Qusanṭīnah al-Jazā'ir, 1982).

badis, i. (1953, Abrīl 17). p. 226.

Al-Mīlī, *Ibn Bādīs wa ʻUrūbat al-Jazā'ir* (Algeria: al-Sharikah al-Waṭanīyah li al-Nashr wa al-Tawzīʻ, 1980).

Mujāhid, M., *Tārīkh al-Jazā'ir, al-Jazā'ir* (Algeria: al-Maktabah al-Waṭanīyah al-Jazā'irīyah, 1966).

Nabī, M. i., *Mudhakkirāt Shāhid ʻalā al-Qarn* (Algeria: Dār al-Fikr, 1999).

Al-Najjār, *K. Abd al-Ḥamīd ibn Bādīs Rā'id al-Nahḍah al-ʻIlmīyah wa-al-Iṣlāḥīyah fī al-Jazā'ir (1307h: 1889m-1359h: 1940m)* (Algeria: Dar Shihab, 2012).

Rābiḥ, T., *Uṣūl al-Tarbiyah wa-al-Taʻlīm* (Algeria: Dīwān al-Maṭbūʻāt al-Jazā'irīyah al-Jazā'ir, 1990).

Al-Shāṭibī, *al-Iʻtiṣām* (Bayrūt: Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, 1995).

Al-Ṣiddīq, M. a.-Ṣ., *al-Imām ʻAbd al-Ḥamīd ibn Bādīs Jihād wa-Mawāqif bi-Aqlām al-Udabā* (Algeria: Dār Hūmah, 2014).

Ṣulḥ, M. M., *ʻAbd al-Ḥamid ibn Bādīs al-ʻĀlam al-Rabbānī wālzm al-Asāsi* (Algeria: Dār Banī mzghnh, 2015).

Al-Ṭālibī, *Ārā' Abī Bakr al-ʻArabī al-Kalāmīyah* (Algeria: al-Ṭibāʻah al-Shaʻbīyah li al-Jaysh, 1988).

Ṭālibī, *Ibn Bādīs Ḥayātuhu wa-Āthāruh* (Bayrūt: Dār al-Gharb al-Islāmī, 1997).

Turkī, R., *al-Shaykh ʻAbd al-Ḥamīd Falsafatuh wa Juhūduhu fī al-Taʻlīm* (Algeria: al-Sharikah al-Waṭanīyah li al-Nashr wa al-Tawzīʻ, 1969).

Zawah'q, F. z., *al-Manhaj al-Taʻlīmī ʻinda Ibn Bādīs* (Algeria: al-Jamiʻah Adrar, 2016).